خلفيات انبثاق النص الشعري

عند محمد لطفي اليوسفي

depth emanations of poetic text
in Mohamed Lotfi's authors

الأستاذة: أوبيرة هدى
الاستاذ الدكتور مشري بن خليفة جامعة الجزائر 02
قسم اللغة و الادب العربي –جامعة قاصدي مرباح -ورقلة(الجزائر)
Oubira.houda@gmail.com

تاريخ القبول: 2019/09/28 تاريخ الإيداع: 2019/09/30

ملخص:
يهدف هذا المقال إلى البحث فيما وراء النص الشعري عن تلك البواعث و الحوافز التي تدفع الشاعر إلى الإبداع ، وما يحدث عند دخوله إلى لحظة وزمن انبثاق النص و ما يجول في خاطره حينها و ما خوضه حتى ينسج ذلك الخطاب ، كما يتناول تحليل الثوابت التي توصل اليوسفي إلى أنها تحكم اغلب النصوص الشعرية فتنتج مختلف الصور الواردة في النص.

abstract
This article aims to searching beyond the poetic text about concerning the motives and incentives that drive the poet to creativity , and lead him to engage in to the moment and time of the emergence of the text and what is in his mind then and the constants that govern most of the poetic texts and control the various images contained in the text .

توطئة

اكتسب الشعر عند العرب منذ القديم مكانة لا يجحدها دارس ولا ناقد فقد مثل وسيلة إعلام بامتياز فهذه الموهبة النادرة لا يملكها إلا ذو حظ عظيم ، حتى خُيل للعرب وحتى للأمم الأخرى أن الشاعر ليس إنسانا عاديا ، بل وهناك من نسب هذه الموهبة إلى قوى خارقة تدعمها فاعتبر اليونانيون أن آلهة الشعر هي من توحي له بهذا الكلام العجيب، أما العرب فجعلوا لكل شاعر شيطانا يعينه على النظم ويدفعه إليه ، ولهذا ظلت العملية الإبداعية محاطة بهالة سوداء حاول النقاد على مر العصور إسدال الستار عنها و الاطلاع على كنهها و خباياها ولكنها ظلت عصية لا تظهر من سرها إلا النزر القليل الذي لا يشفي غليل الباحثين .

ارتبط نظم الشعر بحالات نفسية عديدة يمر بها الشاعر كغيره من البشر من حزن و فرح أو غضب ،حتى قالت العرب كان امرؤ القيس أشعر الناس إذا ركب، والنابغة إذا رهب وزهير إذا رغب والأعشى إذا طرب ،فالشاعر يبدع انطلاقا من الحالة التي يمر بها ، وقد ذهب ابن سينا (ت428هـ) إلى أن<< السبب المولد للشعر في قوة الإنسان شيئان : أحدهما الالتذاذ بالمحاكاة (...) والثاني حب الناس للتأليف المتفق والألحان طبعا ثم قد وجدت الأوزان مناسبة للألحان، فمالت إليها الأنفس وأوجدتها فمن هاتين العلتين تولدت الشعرية وجعلت تنمو بيُسر تابعة للطباع وأكثر عن المطبوعين الذين يرتجلون الشعر طبعا وانبعثت الشعرية منهم بحسب غريزة كل واحد منهم وقد يحثه في خاصته وبحسب خلقه وعادته >> 1 كما اشترطت العرب في الشاعر قبل نظمه للشعر الإحاطة بما نظمه سائر الشعراء قبله حتى يشحذ قريحته ويصقل موهبته، ويسمو بلغته إلى مصاف لغة المتميزين ، وحتى لا يخرج عن تلك الدائرة والنهج الذي رسمه من قبله فيسير على خطاهم لأن << علاقة الأثر الأدبي بالمجتمع لا تظهر فقط في وضعية الشاعر وإلزامه بالخضوع للطلب وبتناول الأغراض المتواضع عليها ، بل إن هذه العلاقة تدرك أيضا على مستوى أدوات الانجاز >> 2 ويقصد بالأدوات هنا اللغة أو الملكة اللغوية التي يمتاز بها الأديب المبدع دون تلك اللغة العادية التي تستخدم للتواصل النفعي في حياتنا اليومية فاللغة هي السور الأول الذي يقابلنا عند لقائنا بالقصيدة حتى نواجه فيما بعد بقية العناصر البانية للنص .

<< فلا يصير الشاعر في قريض الشعر فحلا حتى يروي أشعار العرب ويسمع الأخبار، ويعرف المعاني، وتدور في مسامعه الألفاظ >>3 والشاعر وحده من يعلم بالحالة أو الظروف التي تقوده نحو الإبداع وهي تختلف من شاعر لآخر كما ذكرنا من قبل فيروى أن كثيّر إذا تعسّر عليه قول الشعر << يطوف في الرِباع والرياض المعشبة فيسهل عليه أرصنه ويسرع إليه أحسنه ... وكان جرير يشعل سراجه ويعتزل وربما علا السطح وحده فاضطجع وغطى رأسه رغبة في الخلوة بنفسه >>4 كما تروي كتب النقد أن الفرزدق يقول بأن خلع ضرس أسهل عليه في بعض

الأحيان من الإمساك ببيت شعري تعسر عليه ، بعد أن تتهيأ الظروف التي تدفع الشاعر إلى الإبداع يدخل إلى ما اسماه محمد لطفي اليوسفي بزمن الشعر أو ما يصطلح عليه بلحظة ميلاد القصيدة ، فالشاعر وحده من يملك مفاتيح البوح عما يدور في الذات البشرية فكل قصيدة تحمل لا محالة إيماءات وملامح تدل على هذه اللحظة وهذه الإيماءات أحيانا تبدو صريحة وأحيانا أخرى حسب محمد لطفي اليوسفي تغوص إلى أغوار النص فيصعب اصطيادها << فلحظة المكاشفة الشعرية هي تلك اللحظة التي ينهض فيها الشعر و الشاعر لذلك فإن ماهيتها متحققة في النص الشعري >>5 فالشعر الأصيل هو الذي يستند إلى مختلف التجارب البشرية التي عجز الإنسان عن وصفها والإفصاح عنها لأن << لحظة ميلاد الحدث الشعري هي تلك اللحظة التي يرى الشاعر فيها الغياب ويقتحم على النسيان مكامنه وخباياه والنسيان والغياب هما ما ترسب في أغوار الذات البشرية >>6 لأن التاريخ الذاتي للشاعر وواقعه حين يندرج في القصيدة فإنه يتلون بصبغة كونية شاملة و ينغرس في زمن الشعر ، وقد أسماه اليوسفي بزمن الديمومة أي انه عصي عن الزوال ولا يمكن للبشر المساس به أو الاطلاع عليه وهو زمن دائم يسير وفق وتيرة واحدة ، أما بقية الزمن فقد نعته بالزمن التعاقبي أو زمن البلى والتلاشي ، ففي لحظة المكاشفة الشعرية يستطيع الشاعر الإفلات من الزمن والإطلالة على الزمن كديمومة ومن ثم الاطلاع على التجربة البشرية وما ترسّب منها في قاع الذات .

واستنادا إلى ذلك فإن وظيفة الشعر هي إخراج الإنسان (الشاعر) ونقصد هنا مجسدا في الشاعر من الزمن التعاقبي (زمن التلاشي والزوال) وإدخاله في زمن الشعر(زمن الديمومة) ،لأن << الانفتاح على زمن الشعر هو وحده الذي يضمن للشاعر أن يمارس الكتابة فتغدو حدثا مؤسسا..... فيتوحد بما خفي من ذاته ويعبر عن مشكلات الوجود الإنساني مطلقا >>7

فزمن الشعر إذن هو الذي يخرج فيه الشاعر من الزمن الحاضر ويدخل زمن الديمومة، حيث لا زوال هناك ولا نهاية ،حيث يتعمق الشاعر في ذاته وفي ذات الإنسان بصفة عامة فينغرس ما هو واقعي وشخصي وذاتي في الكوني فيملك لسانا يستطيع التعبير به عن كل ما يدور في ذهن البشر، فيصبح الشاعر حسب اليوسفي نبي البشرية الذي يعبر عما يدور في أذهانها ولا تستطيع البوح به فهو وحده من يقف على عتبة الكوني والأسطوري لحظة المكاشفة ،فيملك ما لا يملكه بقية البشر.

وآثار ذلك الزمن تبقى عالقة بذات الشاعر فيبقى << واقفا على عتبات زمن الشعر ،يرتقب لحظة المكاشفة >> 8 وهذا بعد نهاية التجربة الشعرية فهو دائما ما << يحن إلى الدخول في طقس الكتابة حالما يفرغ منها أي أنه يحيا مأخوذا بالقصيدة يرتقب لحظة المكاشفة وحين يرتادها تداهمه الغبطة >>9

الإطلالة على مـدار الرعـب :

تكتسب اللغة أهميتها ومكانتها حين تغادر الاستخدام النفعي التواصلي وتلج عالم الشعر << فتتحول إلى ماء وعشب وشجر والى طيور تزاول نغمها وذلك عند خوضها أراضي الشعر أو النظم ، أي حين تصير خطرا ،بالمعنى الذي أعطاه هايدغر لهذه الكلمة ،في حديثه عن اللغة كأخطر النعم التي وضعت في يد الإنسان >> 10 فهذه اللغة يكشف الشاعر ما في الواقع من هول وتشققات و عذابات فيزعزع ثقة الإنسان بهذا الواقع ويحثه على رفضه والإطلالة على مدار الرعب هي قدرة الشاعر على رؤية فضاءات معتمة فيها أمور وحقائق مهولة ،لذلك بقيت متخفية << فالنص الشعري حين يعيد خلق الواقع يعري الذي يحوم في فضاءاته المعتمة ويسري متغلغلا في تفاصيله >>11 والشاعر عند اليوسفي يعبر عن دخوله مدار الرعب في النص بطريقتين :

<< **أ/ الاستيقاظ على هول التشيـؤ :** أي تلك النظرة النفعية المادية للعالم وهذه النظرة (نظرة الإنسان) المادية التي سيطرت على العالم هي التي تغطي ذلك الرعب، وحب تملك الإنسان للأشياء وجريه المستمر هو الذي يخفي الحقيقة .

ب/ الاستيقاظ على ترهل الوجود : ويعبر عنه الشاعر بعدة صور وفق مظهرين : الانشداد إلى لحظة البدء / بدء الوجود : بداية الكون عندما كان كل شيء صافيا ونقيا ، وتحيل كلها على طفولة العالم / طفولة الشعر والشاعر ، و المظهر الثاني هو الاستفاقة على ترهل الوجود : أي أن العالم والحياة أصابهما البِلى والإهتراء فهي لم تعد كما كانت لذلك يحن الشاعر للحظة البدء حتى يعود العالم كما كان فيهجر عالم الفوضى ويتجاوز النظرة النفعية التي تأسر العالم داخل أسيجة البعد الواحد >>12

إن الشاعر في الحقيقة يعيش الواقع ويرتبط به كبقية الناس إلا أن ما يميزه هو القدرة على أن يطل على ما وراءه من رعب وهذا الأخير (أي الرعب) يقوده لا محالة إلى الوحدة والتي تشمل الشعر والشاعر واللغة .

ا/ وحـدة الشـاعر :

قد توهمنا بعض النصوص بداية بأن الشاعر قد قُدِّر عليه أن يكون وحيدا لا يعيش في علاقات دائمة مع الناس وهو في غالب الأحيان شارد الذهن منغلقا على نفسه وانه يتأسى على ذلك، لكن الأصح أن الشاعر يختارها و يلتذُّ بها فهي التي توصله إلى لحظة المكاشفة ، كما أنها << تسمح للشاعر بالتركيز و في رحابها يتمكن من الامتلاء بالعالم وفي رحابها أيضا يشرع الحدث الشعري في النهوض >>13

ب/ وحـدة اللغـة :

إن الاستعمال النفعي للغة يجعلها في دائرة ضيقة عصية على التجديد لذا ينتشل النص الشعري الكلمات << من الفراغ المفجع الذي أغرقها فيه الاستعمال اليومي .... فتكف عن كونها ذات دلالة واحدة لتصبح عبارة عن مستقر تتلاقى فيه الدلالات >>14 ومن ثم تكمن أهمية الشعر في انه << لا يستسلم للغة التعبير وإنما يبحث الشاعر عن لغة أخرى ، هي لغة الخلق والإيحاء ومن ثم تخرج من حاله المماثلة إلى التفرد >>15 أي أن كل شاعر يهب اللغة دلالات جديدة غير تلك التي تعودتها الألفاظ فتصبغ النص بسمات تميزه عن بقية أنواع الكلام ،وهذا ما يذهب إليه محمد بنيس في قوله << الكتابة بالنسبة لي، لا توجد من غير احترام القاعدة وعدم احترامها،دفعة واحدة، غواية تفسح في فضاء اللغة الذي هو الفضاء الحيوي للقصيدة ،بعيدا عن القبلي الذي يرسم الحدود فيه أيضا ، وهذا الصراع المستمر الذي يضيء المجهول و اللانهائي ..... لغة تعيد تركيب الكلمات وفق منطق الرغبة >> 16

واندحار اللغة عند اليوسفي مثل اندحار الكون لأنه دليل على إعادة تكونه من جديد.

ج/ وحـدة الشعـــر :

ويكون التعبير عن ذلك في النص الشعري نفسه فيأتي في شكل عبارات تعلن عن اندحار الشعر وتلاشي دوره فيحتمي من ذلك بالوحدة (أي الوحدة في مدار الرعب) كما أطلق عنها ذلك اليوسفي.

<< وهكذا ينغلق مدار الرعب على الشعر والشاعر واللغة وتطبق الوحدة على الجميع ... فتمثل اللغة في حضرة الشاعر ويبدأ شعر العذابات والتأسيس .... فتبدأ لحظة المكاشفة بامتياز يأتي الشعر ينتشل اللغة وينتشل الشاعر من التلاشي في الصمت >>17 فالشاعر يرى أن الشعر هو الذي سيخلص الكون من ذلك الخواء والتلاشي ، وبما أن الكتابة عذاب وضنى ووجع فإنه يجاهدها ويتحملها من أجل أن يعبر عن رِؤياه كما أنه لا يملك الخلاص من طقس الكتابة كما يسميها الشعراء فيقول بنيس باعتباره شاعرا وناقدا حينما سئل عن كيف يأتيه أو كيف جاء الشعر أجاب << لم يجئني ولم ينزل علي، فما كان الشعر رفيقا شيطانيا ولا نفحة علوية بل أحاول أن المسه مجاهدة ومكابدة واستمتاعا >> 18 أي أن بداية الكتابة الشعرية خاصة لحظة الولوج إلى ذلك العالم شقاء وتعب شديد لكن خاتمتها متعة و لذّة لا تضاهيها لذّة .

الثوابت التي تحكم النص الشعـري :

توصل اليوسفي بعد تحليله لنصوص ودواوين شعرية عديدة إلى خيط رفيع و خفي يجمعها تحت سقف واحد اسماه بالثوابت وهي قابعة في غور كل حدث شعري ولا يمكن الوصول إليها إلا باعتماد نوع دقيق من القراءة اسماها القراءة "الحلول" كما اصطلح عليها ، وهي حسبه

قراءة مضنية وهو يعتبر نفسه أول ناقد يلقي الضوء عليها ويخرجها من كهفها الذي ظلت متسربلة فيه قرونا عديدة بعيدة عن الأنظار وتتمثل هذه الثوابت في :

<< أ / النـور في مقابل الظلمة

ب / الوجـود في مقابل العدم

ج / الديمومة (زمن الشعر) في مقابل الزمن الميقاتي التعاقبي (زمن التلاشي والزوال) >> 19

وهذه الثوابت تظهر في النص وفق عدة أوجه فتارة يكون حضورها صريحا (كإيراد الكلمة وضدها) وتارة أخرى تكون متخفية متسترة (فعندما يذكر الشاعر مثلا النور فإننا نستحضر مباشرة الظلمة) ومن ثم يصبح << التواتر بين الخفاء والتجلي ....قانون إيقاعي مركزي يشد الخطاب فيوحد بين تفاصيله وصوره وكلماته >> 20

وجميع الصور في النص تنطلق من تلك الثوابت فلا تخرج عن إطارها فقسمها اليوسفي في النص إلى :

1/ صورة البدْء والتكويـن :

هي صورة الكون عندما كان صافيا نقيا لم تلوثه أيدي البشر وهذا التلوث مسّ جميع المستويات فطفولة الكون حلم لطالما راود الشعراء وتمنو العودة إليه فهو يمثل نقطة الانطلاق لكل شيء قبل أن يتعكر صفوه فكان على طبيعته الأولى التي جُبِل عنها وحتى يعبر عنه الشاعر << يبني نصوصه بمدركات توجد .... في ذاكرة المتلقي وهو يؤلف بينهما على نحو يؤسس الحدث الشعري >> 21 فهذه المحركات موجودة في الواقع لكن الشاعر يشابك بينهما فتصبح صعبة المنال بالنسبة للقراءة العادية فالألفاظ الدالة على النور مثلا : القمر ، الشمس ،الكواكب، ....والدالة على الظلمة : الماء ،النبات ..... وكلها تدل على لحظة البدء التي تجمع كل المتضادات في قالب و سياق واحد وتأتي هذه الموجودات عند اليوسفي وفق مظهرين :

الأول : سكون مكثف : ويقصد به إيراد الموجودات بشكل متستر وتكون بمثابة الأرضية للنص والتي يصعب مسكها من شدة خفائها لذلك تتزيّا بعدة أشكال .

الثاني : صخب عات : << يأتي الصخب كامتداد للسكون ويكمل صورة البدء ، فيطفح النص بالصخب إلى حد الانفجار >> 22

وضرب مثالا للحظة البدء بأبيات السياب في أنشودة المطر

عيناك غابتا نخيل ساعة السحر

أو شرفتان راح ينأى عنهما القمر

عيناك حين تبسمان تورق الكروم

وترقص الأضواء كالأقمار في نهر

لكنه لم يوفق في هذا البدء حيث جمعه مع مظاهر المدينة كالشرفة و الأضواء مع انه يوحي بالسكون و الطمأنينة التي ينشدها البشر.

2 / صورة الفردوس المفقود ، فردوس البداية :

ويقصد بها ذلك العالم << نقيض الوجود الأرضي .... عالم لا وجع فيه ولا موت ولا الم ولا نواح ، وإنما هو تناغم مطلق وغبطة عارمة >> 23 وقد اختلف الشعراء حسب اليوسفي في تسميتهم له فهناك من أسماه بالجنة، أو الفردوس المستعاد ..... وهذا المفهوم موجود في الأديان والأساطير والشعراء أحيانا يذكرونه بلفظ صريح وأحيانا أخرى يومئون له بإشارات ورموز تدل عليه مثل << الأمس المفقود ، الصباح الجديد ....>> 24

ويرى اليوسفي أن استخدام اغلب الشعراء لمفهوم الفردوس ليس اتفاقا وإنما هو << مدار من المدارات التي تجتذب الشعر إليها في لحظة تشكله ذاتها أي في لحظة المكاشفة الشعرية >> 25

وبما أن هذه الظاهرة لا تظهر للعيان فإنها تتلبس تارة بلغة الشاعر (الكلمات) من خلال الدلالات الكثيرة التي تحملها لغة الشعر وضرب مثلا بكلمتي (جيكور عند السياب وفلسطين عند درويش) تصبحان بمثابة البنية الرمز (الفردوس) وكل الدلالات حولها ترشح بكونها "فردوس"، وتارة أخرى تتلبس بالصور فتعبر عن الفردوس إيماء وهذا التلبس قد يكون صريحا أو بمثابة الومضة (وهو تلبس خفي)

3/ صورة العالم الأسفل / الجحيم :

وهي أيضا صورة مشتركة بين الشعراء << وهي تنهض أيضا على استدعاء الثوابت ولكنها تمارس عليها نوعا من الإقصاء فتُقصي النور وما يدل عليه .... وتكتفي بتوظيف الظلمة وما يدل عليها >> 26 كما يرى اليوسفي أنها تقصي الوجود من الزوج (وجود . عدم) ويتميز النص بالقتامة والفجيعة ، كما يحذف حسب اليوسفي الزمن كديمومة ويبقى فقط الزمن الحاضر ،وبهذا يتحول كل شيء في الوجود إلى جحيم ، وكل شاعر يعبر عنه بطريقته الخاصة وكلها تدور حول اندحار الحياة ويقصد به الموت وما يفعله بالإنسان، ثم يتناول اندحار الكون وتلاشيه وصوره المفجعة ، لكن مع ذلك يرى أن << تجدد الوجود مشروط بالتوغل في الرعب رعب التلاشي والتفسخ والزوال >> 27

الكتابة حسب اليوسفي في بداياتها عذاب ووجع وضنى يتحملها الشاعر حتى يعبر عن رؤياه ، وهو في الآن ذاته لا يستطيع التخلص من طقس الكتابة ،لكن استمرار الوجع سرعان ما يتحول إلى لذّة .

لذة الكتابة:

يعيش الشاعر لذة عارمة أثناء لحظة الكتابة ولها ثلاث أسباب :

أ/ تجديد اللغة : تمثل القصيدة ملجأ يلوذ إليه الشاعر كمخلّص من ذلك التشيؤ و التلاشي الذي يراود الوجود فالحدث الشعري وحده القادر على تجديد اللغة ويكون وفق طريقتين تتمثل الأولى في تخليص اللغة مجسدة في كلماتها من الدلالة الواحدة و إعطائها دلالات متنوعة تكشف عن الخيالي فيها ومن ثم ينقذ اللغة من التشيؤ و الترهل ومن خلالها الواقع و الإنسان و الثانية تتمثل في مدى قدرة الحدث الشعري على << التغلغل داخل أغوارها (اللغة) الدفينة لاستحضار ما غاب منها و احتمى بالنسيان >> 28 لان المعاني اليومية من كثرة استعمالها ابتعدت عن الماهية الحقيقية للكلمات و اكتفت بظاهرها ، و ادونيس أيضا يرى أن اللغة تبلى بالاستخدام النفعي فيعيد لها الشاعر الحياة ويطهّرها ممّا تسبب في هِرمها فتصبح << الكلمة و بالتالي الكتابة ،قوة إبداع و تغيير تضع العربي في مناخ البحث و التساؤل و التطلع >>29 فاللغة هي العمود الأساسي الذي يقوم عليه النص الشعري ففي <<طريقنا إلى القصيدة لا نواجه في البداية إلا اللغة ، إن معظم ما في القصيدة من جمال ومعنى و فاعلية لا يقيم إلا هناك في لغتها الشعرية ، ففي هذه اللغة وحسب بنائها الجليل الآسر ، يمكن العثور على جمر الروح و أحجار الدلالة الساطعة و الرؤيا>>30

فالعودة إلى لغة البدء (بداية الكون) جاء نتيجة لفقدانها وظيفتها الأصلية (الوظيفة الشعرية) نظرا لكثرة التداول والتكرار،وانطلاقا من كل ذلك << تتحول عذابات الكتابة ووجعها وضناها إلى لذة عارمة تدهم الشاعر انه يقف على مشارف دروب الخلاص >>31 ويتحقق ذلك بالتأكيد من خلال تجديد اللغة

ب/ تجديد الوجود:

<< يرد تجديد الوجود بمثابة الصدى المباشر لتجديد اللغة ، و يتم انتشاله في ذات اللحظة التي يحدث فيها انتشال اللغة من الترهل و البِلى >>32 وتتجسد الرغبة في تجديد الوجود في الحنين إلى لحظة البدء (طفولة الكون و الشعر و الشاعر)

ج/ دحر العدم :

يرى اليوسفي أن الشعر مواجهة للعدم فهو بمثابة الخلاص ، فالشاعر حين << يرتاد زمن الشعر و ينفتح على الديمومة ، يفلت من رعب التعاقب و التبدّل و الزوال ... وهي لحظات تأسس حدث الكتابة >> 32 فتتولّد لذّة إبادة العدم ،لكن هذه اللذّة << لا تنتهي إلى غاية و لان غايتها (تخطي العدم وقتل اللا معنى) تظل مجرد مشروع لا يصير إلى الانجاز إطلاقا >> 33

رعب الكتابة:

عندما يدخل الشاعر طقس الكتابة يشرع في إبادة << الرعب ويكسر مداره فتضعه الكتابة في أقاصي ذلك المدار ... ويظل يطفح بالإخبار عن لذة الكتابة حتى لكأن الرعب في حدّ ذاته هو صميم تلك اللذّة و جوهرها >> 34 وتتميز رحلة الكتابة بشكل رئيسي بما يلي :

ا/ رعب الفشل : فالفشل يتعقب الحدث الشعري و يحاول دائما أن يبيده منذ لحظاته الأولى و هو يظهر وفق طريقتين:

- عجز النص عن فتح مجراه : بما أن الحدث الشعري لا يأتي بلغة جديدة بل يكسب اللغة اليومية أبعادا و دلالات أخرى تطفح بالحركة و الحياة ، وتوغل الشاعر فيما خفي من اللغة أمر خطير فاللغة حسب اليوسفي قد تمنحه مستواها السطحي فقط (أي ما سبق إليه في الموروث الشعري) << فالنص الأصيل هو الذي يفتح مجراه المتفرد المتميز >>35 فالشاعر غالبا ما يعاني من << رعب الوقوف الدرامي العبثي أحيانا في وجه موروث هائل ضخم يمتلك مقدرة على الانسراب تجعل كل محاولات الصّد مجرد وهم في بعض الأحيان >> 36 فأكثر ما يخشاه الشاعر ان يصبح مجرد صوت ينعق بما سبقه الآخرون له وملّوا تكراره.

فالشاعر عند نازك الملائكة << قد يخرق قاعدة مدفوعا بحسّه الفني ، فلا يسيء إلى اللغة و إنما يشدها إلى الأمام ،الشاعر أو الأديب إذن هو الذي تتطور على يديه اللغة أما النحوي و اللغوي فلا شأن لهما بها ، النحوي و اللغوي عليهما واجب الملاحظة و استخلاص قواعد عامة من كلام المرهفين من الكتاب و الشعراء >> 37

- عجز الشعر عن دحر العدم : << من الفشل تطلع القصيدة من جديد ومن الفشل ينهض الشعر من جديد ... يبلغ ذرى الاكتمال فينحلّ وينتهي بداياته مغلقة دائما ونهاياته مفتوحة على بداياته ... حتى لكأنه في لحظة اكتماله ذاتها يختار أن ينتهي لأنه اطلّع على ما لا يجب أن يُرى >> 38 فالشاعر يحس في تلك اللحظة أن قدرته على تجديد الوجود و دحر العدم مجرد وهم و سراب لا يمكن تحقيقه .

ب/ مدار الرعب:

حين ينهض النص الشعري فانه يرتاد مدار الرعب فما طبيعة هذا المدار و المنحدر المرعب ،فاليوسفي يرى أن الشاعر حين يرتاده يعلق بجسمه ما يدلنا على ذلك المكان ، وهو أمر صعب يتميز بالتسربل و الخفاء لذلك حصره (ذلك الإخبار عن مدار الرعب) في مظهرين :<< الأول في شكل ومضات مندسّة في أقاصي النص ... فيكون ذلك رمزا و إيحاء ... فالإخبار قائم على التعمية ... فهو يوهم أحيانا انه قادر على دحر العدم ... ثم ينكشف أن الديمومة هي العدم ذاته ... فالكتابة تريد أن تبيد الرعب فترتمي فيه عند اكتمالها >> 39 لان النص عند انتهاءه ينتقل من زمن الديمومة ذلك الزمن اللانهائي و يدخل في زمننا الحاضر زمن البلى و التلاشي اما المظهر

الثاني فيتمثل في طريقة انتظام الكلام الشعري الذي ينتقل حسب اليوسفي من واقع لا لغوي فيصف ما وراء الموجودات و يكسر العلاقات القائمة بينها ، و انطلاقا من ذلك فان << المفجر الأساسي للحدث الشعري الأصيل المؤسس هو العدم لأنه يرتاد زمن الشعر ، زمن الديمومة ... فعندما يحقق ذلك التجاوز للزمن يصبح هو العدم ذاته >> 40 فالوجود أصله عدم و لا بد من أن يعود إلى أصله.

فالشاعر لا يمكنه أن << يقضي على الترهل و التفسخ و البلى إلا بالرجوع إلى عتمة البدايات أي إلى رحاب السديم الذي كان قبل البدء >> 41 فالوجود و العدم احدهما يغطي الآخر فكلما ظهر احدهما غاب التالي وهكذا ، بمثابة الوجهين للعملة الواحدة ، لذلك << تصبح لحظة البدء هي لحظة تألق الوجود لأنه يتصالح فيها الضدان المرعبان : الوجود و العدم لأنها لحظة تبادل الأدوار ... لذلك ينشد الشعر إلى لحظة البدء و يعيد بناءها بالكلام >>42

خلاصة:

الحدث الشعري لا يتأتى من العدم وإنما هو وليد مخاض عسير يكابده الشاعر منذ اللحظة التي يقرر فيها إنجاب نص شعري يُتحِف به الوجود ، فيتكون الحافز من مسرة أو حزن أو أي شعور حرك المبدع ثم يخوض في لحظة ميلاد النص فيدخل زمنه (زمن الشعر) وهو يختلف عن الزمن العادي الذي يمسه البلى والاندثار فهو زمن دائم تمْثُل فيه اللغة بين يدي الشاعر فتصبح ملكا خاصا له فيطوعها حسب المعاني والدلالات التي تحملها ذاته انطلاقا من تجربته الشعرية ، وعند الخروج من لحظة المكاشفة الشعرية يعلق بالشاعر بعض مما عاشه وينسى اغلبه فسرعان ما يحن إلى تلك اللحظة فيقف عند عتباتها يدق بابها علّه يُفتح تارة أخرى.

الهـوامش

1) ابن سينا ،فن الشعر ،من كتاب الشعراء ، ضمن كتاب فن الشعر لأرسطو ، تح : عبد الرحمن بدوي ، دار الثقافة ، بيروت ط :2 ،1983، ص : 172.
2) جمال الدين بن الشيخ ،الشعرية العربية ، دار توبقال، المغرب، ط : 2 ،2008 ، ص : 90.
3) ابن رشيق القيرواني ، العمدة ، تح : محي الدين عبد الحميد ،دار الجيل ، بيروت، (د، ط) ،1972 ، ج : 1 ، ص :197 ،198.
4) محمد مرتاض ، النقد الأدبي القديم في المغرب العربي اتحاد الكتاب العرب (د، ط)،2000 ، ص :42 ، 43.
5) محمد لطفي اليوسفي ،لحظة المكاشفة الشعرية ، الدار التونسية للنشر ، ط1 (د، ت) ، ص :179.
6) المصدر نفسه ، ص : 188.
7) المصدر نفسه ،ص : 225 ، 226.
8) المصدر نفسه ، ص : 203 .
9) المصدر نفسه ، ص : 225 .

10) صلاح بوسريف ، الشعر وأفق الكتابة ، منشورات الاختلاف ، الجزائر، ط1 ،2014 ، ص : 30.
11) محمد لطفي اليوسفي ،لحظة المكاشفة الشعرية ، ص : 235 وما بعدها .
12) ينظر: المصدر نفسه ، ص : 235 وما بعدها .
13) المصدر نفسه ، ص : 253.
14) المصدر نفسه ، ص : 254.
15) مشري بن خليفة ، القصيدة الحديثة في النقد العربي المعاصر منشورات الاختلاف ،(د . م . ط) ، ط1 ، 2006 ، ص : 139 .
16) محمد بنيس : الحق في الشعراء ،دار توبقال للنشر، المغرب ، ط1 ،2007 ، ص :204.
17) محمد لطفي اليوسفي ، لحظة المكاشفة الشعرية ، ص : 258 ، 259.
18) محمد بنيس ، حداثة السؤال ، المركز الثقافي العربي ، لبنان . المغرب ، ط :2 ،1988 ، ص: 206.
19) ينظر محمد لطفي اليوسفي ، لحظة المكاشفة الشعرية ، ص : 71 .
20) المصدر نفسه ، ص : 91.
21) المصدر نفسه ، ص :97 .
22) المصدر نفسه ، ص : 125.
23) المصدر نفسه ، ص : 125.
24) المصدر نفسه ، ص : 126.
25) المصدر نفسه ، ص : 129.
26) المصدر نفسه ، ص : 147.
27) المصدر نفسه ، ص : 158.
28) المصدر نفسه ، ص:274
29) ادونيس: زمن الشعر ، دار العودة ، بيروت ،ط1978،2، ص:131
30) علي جعفر العلاق : في حداثة النص الشعري، دار الشروق ،الأردن، ط:1 1997 ، ص: 23
31) محمد لطفي اليوسفي ، لحظة المكاشفة الشعرية ، ص: 278
32) المصدر نفسه ، ص: 279
33) المصدر نفسه ، ص: 283
34) المصدر نفسه، ص:286
35) المصدر نفسه ص: 288
36) المصدر نفسه، ص: 290
37) نازك الملائكة ، مقدمة ديوان شظايا و رماد ، دار العودة ، بيروت ، ط2 ،1979 ، مج:2، ص :9 -10.
38) محمد لطفي اليوسفي، لحظة المكاشفة الشعرية: ص:293.
39) ينظر المصدر نفسه:ص: 297-298 .
40) ينظر المصدر نفسه ص: 303-304.
41) المصدر نفسه ، ص:304.
42) ينظر المصدر نفسه ، ص: 305.

قائمة المصادر و المراجع:

1) ادونيس(علي احمد سعيد): زمن الشعر ، دار العودة ، بيروت ،ط:2 ،1978 .
2) جمال الدين بن الشيخ ،الشعرية العربية ، دار توبقال، المغرب، ط : 2 ،2008 .
3) ابن رشيق القيرواني ، العمدة ، تح : محي الدين عبد الحميد ،دار الجيل ، بيروت، (د، ط) ،1972 .
4) ابن سينا ،فن الشعر ،من كتاب الشعراء ، ضمن كتاب فن الشعر لأرسطو ، تح : عبد الرحمن بدوي ، دار الثقافة ، بيروت ط : 2 ،1983 .
5) صلاح بوسريف ، الشعر وأفق الكتابة ، منشورات الاختلاف ، الجزائر ، ط1 ،2014 .
6) علي جعفر العلاق : في حداثة النص الشعري، دار الشروق ،الأردن، ط:1 1997 .
7) محمد بنيس ، حداثة السؤال ، المركز الثقافي العربي ، لبنان . المغرب ، ط :2 ،1988.
8) محمد بنيس : الحق في الشعراء ،دار توبقال للنشر ، المغرب ، ط1 ،2007 .
9) محمد مرتاض ، النقد الأدبي القديم في المغرب العربي اتحاد الكتاب العرب (د، ط)،2000
10) محمد لطفي اليوسفي ،لحظة المكاشفة الشعرية ، الدار التونسية للنشر ، ط1 (د، ت).
11) مشري بن خليفة ، القصيدة الحديثة في النقد العربي المعاصر منشورات الاختلاف ،(د . م . ط) ، ط1 ، 2006
12) نازك الملائكة ، مقدمة ديوان شظايا و رماد ، دار العودة ، بيروت ، ط2 ،1979 ، مج:2 .